تفريغ المجلس (٠٦) المقدمة السادسة. [ترجمة موجزة للمؤلف الإمام القاضي عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ/ التعليق على افتتاحية المؤلف]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين أما بعد:

فنشرع في شرح الكتاب الفقهي الذي قررناه وهو كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ البغدادي العراقي، وقبل الشروع فيه نذكر ترجمة موجزة مختصرة حول هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا العالم بغدادي عراقي وهو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن حسين بن هارون التغلبي البغدادي العراقي المالكي، هذا اسمه، ولادته سنة ٣٦٢هـ في بغداد يوم الخميس السابع من شوال، نشأته: نشأ في طلب العلم وفي دار العلم العراق في ذاك الزمن كانت دار علم وبلد العلم، فهو نشأ فيها وكان أهله دار علم وفقه وأدب وفضل، فله في عائلته من الفضلاء أهل العلم والفقه، كأبيه وكذلك أخوه، محمد بن علي بن نصر كان أديبا فاضلا.

نشأ نشأة العلماء يعني في أخذ العلم وتحصيله كغيره من أبناء بلده وعصره، وتدرج في العلم، لكن المشهور عنه أنه عاش عيشة صعبة لأنه كان قليل ذات اليد، كان فقيرا، وعزّ قوته وضاق حاله، وكان حافظا لدينه فلم يرد أن يلطخه بالتواجد على أبواب السلاطين والأمراء، فكان بعيدا عن هذا المجال، وضاقت به معيشته، فهذا مما ينقل عنه.

ولكنه برز في العلم وكان قويا رَحِمَهُ ٱللَّهُ واشتهر بذلك، ولضيق عيشه خرج من العراق، قيل إنه خرج من العراق لضيق حاله ولإفلاسه الذي لحقه ولحق به في أرض العراق، حتى أنه قال (**لو وجدت بين ظهراني رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية**) وقيل أنه قال أبياتا وهو خارج من العراق:

سلام على بغداد في كل موطنٍ * وحقّ لها مني السلام المضاعفُ**

لعمرُك ما فارقتها قاليا[1] لها *** وإني بشَطَّي جانبيها لعارفُ
ولكنها ضاقت عليّ برُحبِها[2] *** ولم تكن الأرزاقُ فيها تُساعفُ
فكانت كخلٍّ كنتُ أهوى وِصاله *** وتنأى أخلاقُه وتخالفُ

حالها كحال صاحبٍ أريد أن أقترب منه ولكن أخلاقه لا تساعف على التواصل، فخرج لأجل هذا الضيق الذي أصابه، وقيل إنه تكلم كلاما في الإمام الشافعي فطلب لأجل ذلك فخرج هاربا خائفا على نفسه، وفي طريقه إلى مصر مر على دمشق وأكرمه أهلها، ولما وصل إلى مصر تولى القضاء، وعلم به أهل المغرب وكانت في نيته أن يتواصل بأهل المغرب، فعلموا به فأكرموه، ورفعوا من قدره وشأنه.

وحصل له لما قدم مصر سعة من الدنيا، وممن أكرمه ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد، بعث إليه بألف دينار عينا، فلما وصلت الألف دينار إلى القاضي قال هذا رجل وجبت علي مكافأته، فشرح كتابه "الرسالة" شرحا ماتعا، طبع منه بعض الأجزاء.

وأكرمه أيضا أبناء ابن أبي زيد القيرواني، وكانوا يخاطبونه بالقاضي، وانعقدت بينه وبين أبناء ابن أبي زيد القيرواني صلة بسبب شرح القاضي لكتاب أبيهم، فواصلوه بمال يرضيه، واستدعوه إلى المغرب فلم يسعفه ذلك، وذكروا أيضا أنه تأثر كثيرا لفراق بغداد، كان يحب بلده، ورحل إلى مكة أيضا لأداء فريضة الحج.

ومن أوصافه كان عابدا زاهدا متأدبا ثقة كثير الحفظ، حسن النظر، جيد العبارة، فقيها متفننا باهرا أديبا، وأثنى عليه علماء بلده وزمنه، قال الخطيب البغدادي **(لم نلق من المالكيين أفقه منه)**، وكان القاضي عبد الوهاب له أثر كبير في انتشار مذهب مالك في مصر، وأثنى عليه الإمام ابن حزم قال **(لو لم يكن من أصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم)** فدل هذا على أنه يثني على القاضي عبد الوهاب، وقال ابن فرحون المالكي **(القاضي عبد الوهاب المالكي أحد أئمة المذهب)**

[1] أي مبغضا.
[2] رحبة أي واسعة.

وقال صاحب "**النجوم الزاهرة**" (**كان شيخ المالكية**) وقال ابن القيم (**القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق من كبار أهل السنة**). اشتهر رَحِمَهُ اللَّهُ بالفقه والأصول وتولى القضاء.

من شيوخه ابن القصار المشهور أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن القصار البغدادي شيخ المالكية، هذا من شيوخ القاضي عبد الوهاب، وقد اختصر القاضي عبد الوهاب بعض كتب ابن القصار، ومن شيوخه أيضا أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ هذا أيضا من شيوخه

أما تلامذته فنذكر منهم الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المشهور صاحب تاريخ بغداد، ومنهم كذلك أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي شافعي المذهب، وبعض تلامذته من المشهورين محمد بن عبد الله أبو بكر الأبهري، وكذلك أبو عبد الله حسين بن محمد العسكري، وكذلك أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخَلَّص ثقة وصاحب أجزاء وكتب في الحديث.

نذكر من كتبه بعض تآليفه وأكثرها كانت في الفقه، له كتاب:

"**التلقين**" مختصر يدور على مذهب مالك صغير الحجم، وهو من خيار الكتب وأكثرها فائدة.

وله كتاب "**المعين على كتاب التلقين**" تعليقات يسيرة أزال بها بعض الإشكالات في مختصره "التلقين" لكن لم يتمه.

وله شرح على المدونة ولم يتمه.

وله كتاب "**النصرة لمذهب إمام دار الهجرة**" قيل هذا إنه كان في مائة جزء، فوقع في يد أحد الشافعية فرماه في النيل، فضاع الكتاب ولم ينتشر.

له كتاب "**الممهَّد في شرح كتاب ابن أبي زيد القيرواني**" وهذا طبع منه أخيرا مُجيليد، جزء وجدوه.

له شرح المقدمة العقدية وهو مطبوع من زمن، وشرح على بعض المختصر لابن أبي زيد القيرواني، غالب كتبه في الفقه، يوجد منه جزء مخطوط في جامعة أم القرى في أبواب البيوع، وطبع منه جزء، شرح مختصر ابن أبي زيد القيرواني مختصر المدونة، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني أيضا.

وله كتاب "**المعونة على مذهب عالم المدينة**" في الفقه.

و"**عيون المسائل**" أيضا في الفقه.

و"**اختصار عيون الأدلة في الفقه**".

له كتاب "**الإشراف على نكت مسائل الخلف**" في الفقه. وغيرها كتب كثيرة في الفقه.

وله "**التلخيص**" في أصول الفقه، أكثرَ القرافي النقل عنه، وكذلك الزركشي.

وله في الأصول "**مقدمات في أصول الفقه**".

وله مؤلف في العقيدة قيل يسمى "**عيون المناظرات**" وشرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني أيضا.

وكان على عقيدة أهل السنة والجماعة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **(من كبار أهل السنة والجماعة)** صرح بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى استوى على عرشه بذاته لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع من كتبه، ونقله عنه القرطبي في شرح الأسماء الحسنى، وذكره أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقل في كتبه ككتاب "تلبيس الجهمية" في الرد على أهل الكلام.

وأما وفاته فتوفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ٤٢٢هـ يعني لم يعمر طويلا رَحِمَهُ اللهُ. يعني عاش ستين سنة بالضبط، وقيل إن سبب وفاته من أكلة اشتهاها، فكان يتقلب ويقول **(سبحان الله ولا إله إلا الله عندما عشنا متنا)**، ودفن بالقرافة بمصر رَحِمَهُ اللهُ.

وفي عام ١٤٢٢هـ يعني بعد ألف سنة من وفاته عقد في دبي الإمارات ملتقى فقهي سمي الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب شيخ المالكية بالعراق، بمناسبة مضي ألف عام على وفاته، وهذا مؤتمر جمع بهذه المناسبة، وكان في المؤتمر ندوات ومحاضرات ومناقشات كلها تدور القاضي عبد الوهاب، كان بين ١٣ و ١٩ محرم ١٤٢٢هـ الموافق ١٦ إلى ٢٢ مارس ٢٠٠٣، كانت محاضرات حول هذا الإمام، منها:

على خطى القاضي عبد الوهاب، تعريف المشروع الفقهي المالكي بالدليل، القاضي عبد الوهاب وسيرته، وإلى العقل والنقل، فصل الخطاب في سيرة القاضي عبد الوهاب، ريادة القاضي عبد الوهاب الفقهية

وآثارها، الجوانب العلمية في شخصية القاضي عبد الوهاب وصور التأليف عنده، مصنفات وتواليف القاضي وأبرز معالمها وسماتها، نشأة المدرسة المالكية بالمغرب وصلة القاضي عبد الوهاب البغدادي بها من خلال مصنفات مالكية مغاربة ... مواضيع كثيرة، جمعت تلك المواضيع وطبعت في سبع مجلدات، المجلد الواحد فيه ٦٠٠ص، كلها تدور حول شخصية هذا الإمام العالم وهذا الرجل رَحِمَهُ اللهُ.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما كتب وألف، وأن نفيد ونستفيد جميعا.

نبدأ الكتاب إن شاء الله تعالى من أوله قال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "التلقين في الفقه المالكي"، التلقين من لقّن إذا علّم، ويطلق التلقين على تعليم الصغير في بداياته، والعلم ليس فيه صغير وكبير، أول ما يتعلم الإنسان يلقّن، ولا عيب في ذلك، ولا يزال -كما قال أهل العلم- الرجل عالما ما تعلم، فإذا قال لا أحتاج للعلم صار جاهلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا منهج الكتب، تبتدئ ببسم الله الرحمن الرحيم، اقتداء بكتاب الله، وبسنة رسول الله ﷺ وصارت البسملة في الكتب كما يسميها العلماء **(سنة التأليف)** التبرك باسم الله، أول ما يذكر اسم الله، وذكر اسم الله بين الشيء فيه بركة، ولا يذكر اسم الله على شيء إلا بورك فيه، وهكذا سار أهل العلم في التآليف، والقرآن الكريم أول ما فيه **(بسم الله الرحمن الرحيم)**.

والنبي ﷺ كان إذا أرسل رسائل يبدأ بـ**(بسم الله الرحمن الرحيم)** والصحابة كذلك، ثم درج أهل العلم من بعدها على هذه الطريقة، فصارت البسملة سنة التأليف.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وهذا مما يستحب البدء به في الرسائل والكتب والمحاضرات، الحمد والثناء بين يدي كلامك، وأول ما يبدأ ذكر اسم الله جَلَّ جَلَالُهُ والثناء عليه، ثم الصلاة على النبي ﷺ لما فيها من الفضل والبركة والأجر العظيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والصلاة على النبي ﷺ من العبادات العظيمة، وفيها أجر عظيم، قال ﷺ (من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا)[1] وقال (صلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني)[2] -أو قال سلامكم- يعني وُكلت ملائكة تبلغه صلاتنا وسلامنا عليه، صلى الله عليه وسلم في الأولين والآخرين، وأبد الآبدين.

(على سيدنا) النبي ﷺ قال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)[3] لكن لم يأت في أحاديث في ذكر لفظ الصلاة والسلام عليه ذكر لفظ السيد، وما جاء في دعاء الأذان (اللّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمد) لفظ السيد هنا لا تصح، شاذة، فلم يأت في لفظ من الألفاظ التي علمنا فيها النبي ﷺ الصلاة عليه لفظ السيد، لم يأت **(اللّهُمَّ صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد)**، وإنما الذي ورد **(اللّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد)**.

لكن درج أهل العلم على ذكر هذا، لأنه هو سيد ﷺ قال (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) فهل يجوز أن تقول: صلى الله على سيدنا محمد، وإن كان بعض أهل العلم يتورع من هذا، ويمتنع عن هذا ويقول كما جاء في الحديث **(صلى الله على نبينا محمد)** كما علمنا، لكن أكثر أهل العلم على جوازه.

(وآله وصحبه وسلم) الآل هم الأتباع على دينه، ويدخل فيهم أهل بيته كذلك.

قال القاضي الجليل أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي رَحِمَهُ اللهُ.

هذا الكلام من الناسخ أو من التلميذ، فلا يقول المؤلف عن نفسه: قلت، أو قال القاضي الجليل ويثني على نفسه لا، هذا من النساخ أو التلاميذ.

(قال القاضي الجليل) من الجلّة وهي بلوغ المرتبة العليا في العلم.

الحمد لله نشكره ونستعينه ونستغفره ونعبده ونذكره.

[1] أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٦٧٨)
[2] صحيح الجامع (٣٧٨٥)
[3] أخرجه الترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (١٠٩٨٧)

هذه خلاصة خطبة الحاجة.

ونؤمن به ولا نكفره ونسأله الصلاة على خيرته من خلقه محمد نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاة تامة نحظى بفضيلتها ونسعد بمزيتها امين.

ونشرع في الدرس القادم بحول الله في كتاب الطهارة، وهذا الكتاب طبع له شرحان، الشرح الأول طبع قبل خمس سنوات "**روضة المستبين في شرح التلقين**" لأبي فارس عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي، المعروف بابن بزيزة توفي سنة ٦٧٣هـ، على نحو أزيد من مائتي سنة من وفاة مؤلف الكتاب.

وشرحه قبله أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازني المالكي وفاته ٥٣٦هـ تقريبا، متقدم على ابن بزيزة، وهذا من أول الشروح، وهو شرح ماتع طبع مؤخرا، طبع في خمس مجلدات، وروضة المستبين مطبوع في مجلدين.

فهذه كتب مطبوعة، طلبة العلم ممن يريد أن يستفيد يتابع ويراجع منها يمكنه ذلك.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.